اليوم على رواق بيت الثقافة بصنعاء.. أدباء صنعاء يحيون الذكرى السابعة لرحيل هيثم

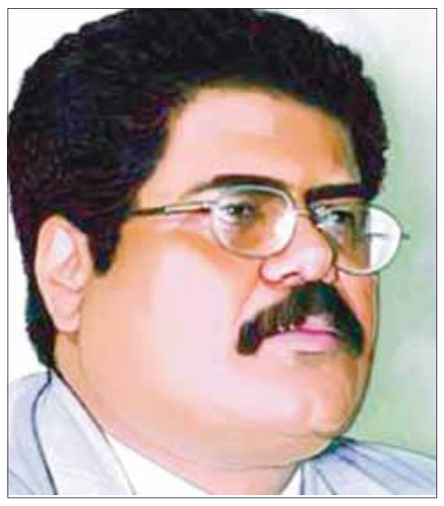

الثورة / جميل مفرِّح

بمناسبة مرور الذكرى السابعة لرحيل الشاعر الكبير محمد حسين هيثم الأمين العام السابق لاتحاد الأدباء والكتاب اليمنيين ينظم اتحاد الأدباء والكتاب اليمنيين- فرع صنعاء في الساعة العاشرة والنصف من صباح اليوم على رواق بيت الثقافة بصنعاء فعالية ثقافية يشارك فيها نخبة متميزة من الأدباء والمثقفين والكتاب والنقاد بأوراق عمل ودراسات وكلمات عن الشاعر والأديب الراحل وحول تجربته الشعرية والأدبية والنقابية.. كما يفتتح على هامش هذه الفعالية معرض فوتوغرافي يتضمن أكثر من سبعين صورة من مراحل متفرقة من حياة الفقيد ومن فعاليات ومناسبات مختلفة حضرها وشارك فيها أثناء حياته التي كانت حافلة بالفعل الثقافي والهم الأدبي والإبدعي..

البحر الذي سلبت هويته

خالد الحيمي

بعد أن فقد بين شعابه المرجانية الكثيفة وجد البحر عاريا ومجردا من كرامته ومن سحنته الزرقاء يتناول طعام الغداء في مطعم شعبي في قلب العاصمة صنعاء، الشحاذة التي اعتاد الزبائن على وجودها عند باب المطعم تمد يدها في حياء وخفر متصنعين لم تتمكن من كبح جماح نفسها وظلت تختلس النظر إليه بدافع الفضول بداية الأمر ثم ما لبث الفضول أن تحول إلى شفقة مقيتة ولكن البحر كان شاردا تعتريه هموم كثيرة ولا يبدو أنه يكترث لأي شيء من حوله حتى حين جاء صاحب المطعم متكلفا الطيبة والإحسان وجاد له بمعوز رث وأعفاه من دفع ثمن الغداء لم يبد البحر أي امتنان لف المعوز حول خصره وذهب، لاح فاره الطول وسيما وجذابا ولكن الحزن كان يمور في عينيه ومد الألم وجـزره لا يتوقفان عن رسم لوحة عذاب وضياع بدت جلية على سواحل وجهه، أشعل سيجارة وسار وحيدا في الشارع متجنبا العسكر ونقاط التفتيش خشية أن يكتشفوا خلو جيبه من الهوية التي انتزعها منه القراصنة وأحرقوها أمام ناظريه بعد أن سلبوه كل أملاكه وثرواته تموج في مقلتيه دمعتان فيلتقطهما بطرفي أصابعه مظهرا صلابته المعتادة في وجـه الأنــواء والعواصف يتساءل: هل سيعيد له الرجل الأول في هذا البلد كرامته المسلوبة، يهز كتفيه لا مباليا ويستمر في السير يغذ الخطى يكاد يقترب من هدفه، يستوقفه أحد الجنود يشهر بندقيته في وجهه طالبا منه إبراز هويته يضطرب البحر ويلوذ بالفرار.

هل المثقف اليمني خائن ؟!

*فاروق ثابت

حمل المثقف عبر التاريخ على عاتقه مسؤولية تكوين العقل وتشكيل ذاكرة الأمة، وكان المثقف يستقرئ الاتجاهات الأساسية لتطوير المجتمع .

يقول ادوارد سعيد (أن المثقف عدو التعصب لأنّ التعصب هو الجهل المتشنج) و يضيف : المثقف لديه رأي و موقف ولكنه ايضا ذو فكر مفتوح لسماع أو قراءة أو مناقشة كل ألآراء وصراع الآراء هو ما يجعل الآراء نشيطة و حيوية الامر الذي برأي ادوارد ما يجعل كل حامل رأي يطور مرافعته الثقافية عن رأيه .

مثلما أن ازمة (حرية التعبير) هي طامة كبرى في قاموس المثقف العربي فإن حالة الانفصام بين المثقف والمجتمع هي طامة أكبر بالتأكيد .. والحديث هنا حديث توصيف لواقع المثقف الذي يحمل وعياً سياسياً عليه أن يقرأ في اجندة التغيير عبر ممارسة الوعي السياسي لا عبر مثاليات التنظير الايديولوجي وحده .

والمتتبع للحالة اليمنية يجد اتساع هوة ذلك الانفصام بجلاء بين المثقف اليمني والمجتمع من حيث أن مثقفي اليمن للأسف جزء منهم (مدوخ طافش) وجزء اخر تابع حزبي يطبل لنظريات بائدة وجزء مدافع عن السلطة وجزء اصولي بدافع عن جماعاته الدين سياسية وجزء منهم بندق بيد الشيخ وجزء اخير تائه بين كل هذا الكم من الغثاء مهمل منطو جانبا يملأه غبار الهجير وجزء اخر خانع ذليل لا يقوى على ابداء رأيه وجزء اخير وهم قلة نادرة من يناضل ويدافع عن فكرة الوطني الشريف وقد بح صوته و لا حياة لمن تنادي

أن الايديولوجيا قد تكون قاتلة لحراك المثقف الـذي عليه ان يقرأ بوعي الخارطة الذهنية للمجتمع الذي عليه ان يساهم في انتاجه، وهي ايضاً نسق فكري لا يمكن لأي حراك ان يثمر بدونه. الفارق ان ثمة ايديولوجيا يمكن ان تستجيب لاشواق الانسان في العدالة والكرامة والحقوق ومقاومة الفساد مع استدعاء مخزون معرفي وقيمي يؤمن به هذا الانسان.. وقد تكون ايديولوجيا اخرى تناضل من اجل كل ذلك لكنها تستدعي منظومة معرفية اخرى، الوعي الشعبي غير قادر على التعرف عليها، ناهيك عن انه ربما تكون منظومة مشوهة سواء من الداخل لعدم قدرتها على الاتساق مع منظومة معرفية لها صفة الرسوخ، او من خارجها بفعل سنوات طويلة من البروباجندا المضادة التي جعلت الموقف العام منها موقفا مضادا حتى لو حملت اشواق واحلام الانسان وهذا ما يعكس الواقع اليمني وكثيراً من الواقع العربي بالتأكيد أذ بات مثقفونا وبال علينا يصدرون كل المشاكل والمتاعب وان بدأ بعضها مغلفاً باسم الوطن او الدين او حب المصلحة العامة بشعارات مكشوفة بائدة اكل الدهر عليها وشرب غير أن الايدلوجيا واضحة بما لايدع نسقا بين الشعار المتبنى والعمل على الواقع ،،،.

اننا في اليمن وكثير من الدول المحيطة نعاني من ازمة مثقف في وطن تصل فيه نسبة الامية الى حوالي ستين في المائة من عدد السكان ،، اذ بإمكان المثقف أن يصنع قضية رأي عام دون أمانة وينتج احتقاناً بقضية مختلقة لا تنتمي للواقع بصلة دون الحاجة الى تقديم اي براهين أو أدلة دامغة ،،،

في ثورة تقانات المعرفة التي نعيشها اليوم بات العالم قرية كونية ثم يأتي (توماس فريدمان) بتوصيف اعمق ليقول أن العالم بات اليوم (شقة سكنية) وفي تلك الشقة السكنية جرى ضخ ألاف المؤلفة من الاخبار والتقارير والمقالات خـلال عـام واحـد هو المنصرم 2013 وصلت تلك التقارير حول اليمن مثلا الى الذروة عن سابقاتها لتحدث ضجيجا واسعا في تلكم الشقة السكنية وقد قيل أن الاناء الفارغ هو الذي يحدث ضجيجا وبالتالي ذاك الضجيج بأمكانه أن يمنع القاطنين عن النوم كأقل الضرر .

في الوسط الثقافي اليمني دائما ما توصف القبيلة والشيخ بأنها ضد الحراك الثقافي

والمعوق الكبير أمام الوعي والنهضة الثقافية اليمنية غير أننا وللاسف نلاحظ الفجوة والهوة واضحة بعدم الاتساق بين تلك النظرية وبين واقع المثقف الذي ينتقد القبيلة والشيخ الفلاني من الناس ثم يغض النقد عن الشيخ الاخر الذي يربطه به انتماء حزبي او مصلحة ما او نستطيع القول بأن المعسكر الثقافي انقسم الى فسطاطين فسطاط ناقد واخرين مدافعين حد الاستماته عن القبيلة والشيخ اللذين يوصفان عبر اجيال المثقفين أنهما وراء الجمود الشنيع الـذي يعانيه الوضع الثقافي في بلادنا ..وبالتالي يظهر الشرخ جليا في اوساط المثقفين ليبعث مزيداً من الركاكة والهشاشة والوهن الممقوت ! ..ومن ثم يسقط قناع المثقف المتشدق بشعار الحداثة .

كيف سنراهن في اليمن على مثقفينا وكثير منهم مرتهن لامـلاءات من يتبعهم وتمويل مادي يحيد بالكثير عن قضية الوطن وحق الشعب في الحياة والعيش الكريم ،، حتى كثيراً من المفسبكين للأسف المحسوبين على فئة المثقف اليمني باتوا يروجون هرطقات جوفاء في مقالات او بوستات فيسبوك كلها تمجد جماعاتهم وتهاجم الاخر بصورة العداء المطلق ،،،

أن الايدولوجيا التي لا يمكن إلا ان ينتظم فيها اي نشاط حركي للمثقف تبدو مشكلة وضرورة في آن. فالايدولوجيا المنبتة عن تربة المجتمع ووعيه الثقافي محكوم عليها سلفاً بالفشل في إحداث أي حراك إيجابي ولنا فيما يحدث في بعض الدول العربية ومقدمة ذلـك اليمن الدليل الكافي على اكتشاف ذلك الضمور الذي تعاني منه التجمعات او الاحـزاب التي تتوسل خطاباً لم يعد رائجاً حتى في أوساط كثير من المثقفين أنفسهم، ناهيك عن رجل الشارع الـذي لا يمكن ان يتصور وعيه ان ثمة حلا يأتي من خلال تيارات ثقافية لا جذور لها في هويته ولنا في اكتشاف ان الاحزاب او التجمعات التي طبع نشاطها بمنظومة فكرية تتوسل المكون الثقافي والمعرفي والقيمي لدى الشرائح العريضة في المجتمعات العربية كيف حققت القبول النسبي، اذا لم يكن المكتسح في اي فرز يضمنه صندوق اقتراع غير قابل للتزوير.. هنا ايضاً ثمة ايديولوجيا من نوع آخر وهي ايديولوجية ذات هوية لها قبول داخلي ولها رواج بسبب الفراغ او الفشل كالايدولوجيا المرتبطة بالدين التي تتصدر المشهد اليمني .. التجارب العربية السابقة التي عبرت عن ايديولوجيا تحمل صفة مشروع لكنها بلا مقومات مشروع له القدرة على والحياة لم تحصد سوى الفشل .

ان الثقافة والأصولية الايدلوجية لا تجتمعان البتة فالثقافة انفتاح والأصولية تطرف و الثقافة فهم ودراية والأصولية انغلاق و الثقافة رسالة حب والأصولية تعميق للكراهية والثقافة سلام والأصولية حرب ،،، ومن هنا وجب على المثقف التفريق بين المفهومين ووضع نفسه في المكان اللائق خاصة اذا ما علمنا اننا بتنا نعاني فقرا معرفيا وتجريفا فكريا مهولا في وافر من تمويل متعدد المصادر يجعل المثقف اكبر الخونة !،،وهذا هو مكمن العلة وبيت الداء الذي قصدت ،،

على المثقف اليمني أن يتنبه للخطر الكارثي الذي وقع فيه و ان يحاول جاهدا الخروج من اسطوانة العزلة التي وضع نفسه فيها قسرا وأن يعي جيدا أننا جزء من هذا العالم الذي يسير لبناء معرفته بسرعة التطور الرقمي الذي يعايشه لا ببطء الكهوف و ايدلوجيا الاستدعاء الاموات ،، لابد من مراجعة الخطاب الثقافي واعـادة قـراءاة الـواقـع وصياغته بالطريقة الصحيحة لا بالطريقة المفروضة ايدلوجيا وان لا يصادر عقل المثقف اليمني ليفكر الاخرون بالنيابة عنه فالمثقف جزء من الحياة الاجتماعية وينبغي ان يخرج الى حيزه المفترض ليملأه برسم ملامح المستقبل السياسي والاجتماعي المأمول بكسر قيد الايدولوجيا دون التخندق للمثقف حول نفسه ليقود معركة ليست معركته الحقيقية اصلا فهو الاكثر من يراهن عليه بكسر الجمود ونبذ التخلف وإحباط محاولات استغلاله من قبل من يسعون لصنع معاركهم الشخصية ازاء التضحية بالمثقف

ومستقبله والوطن والشعب.

صحفي وأكاديمي مقيم بماليزيا*

المـوتُ
مِن طرفٍ واحد

يحيى الحمادي

ظَـــمـــآنٌ مـــاؤُكَ شَـــارِبُـــهُ
و غَـــرِيـــقٌ مَـــوجُـــكَ قـــارِبُـــهُ
و غَـــرِيـــبٌ يَـــقـــرَأُ دَمـــعَـــتَـــهُ
لِـــلـــنَّـــاسِ, و أنـــتَ أَقـــارِبُـــهُ
و قَـــتِـــيـــلٌ يُـــقـــتَـــلُ ثـــانِـــيَـــةً
لِـــيَـــرَاكَ..فَـــكَـــيـــفَ تُـــحـــارِبُـــهُ؟!
هُـــو ذا لا يَـــحـــمِـــلُ غَـــيـــرَ يَـــدٍ
و فَـــمٍ كـــالـــبـــابِ يُـــوَارِبُـــهُ
هُـــو ذا يَـــتَـــحَـــسَّـــرَ.. جَـــنَّـــتُـــهُ
جَـــمـــرٌ, و رَمَـــادٌ مـــارِبُـــهُ
عَـــبَـــرَت ذِكـــراكَ و لَـــيـــلَـــتُـــهُ
سِـــجـــنٌ يَـــتَـــلَـــفَّـــتُ هـــارِبُـــهُ
كَـــضَـــرِيـــرٍ يَـــبـــحَـــثُ عَـــن يَـــدِهِ
فِـــي الـــقَـــيـــدِ..فَـــيَـــسـقُـــطُ شـــارِبُـــهُ

* * * * *

صَـــــلِّدكَ و سَـــلَّـــمَ حِـــيـــنَ غَـــفَـــا
لِـــلـــمَـــوتِ و مَـــوجُـــكَ ضَـــارِبُـــهُ
و رَآكَ بـــيَـــومٍ خـــارِجَـــةً
عَـــن سِـــربِ الـــعُـــمـــرِ عَـــقَـــارِبُـــهُ
هـــا أنـــتَ..و غـــابَـــت أُغـــنِـــيَـــةٌ
كـــانـــت كـــالـــغَـــيـــمِ تُـــسَـــارِبُـــهُ
هـــا أنـــتَ..و يَـــسـقُـــطُ مِـــن يَـــدِهِ
حَـــبـــلُ الـــمِـــيـــعـــادِ و غـــارِبُـــهُ
أَيَـــمُـــوتُ و حُـــبُّـــكَ غـــايَـــتُـــهُ
و ضُـــحَـــى عَـــيـــنَـــيـــكَ مَـــآرِبُـــهُ !
هـــا أنـــتَ..و تُـــشـــرِقُ مِـــن عَـــدَمٍ
ذَابَـــت فِـــي الـــشَّـــمـــسِ مَـــغَـــارِبُـــهُ
سُـــحـــقًا لِـــلـــحَـــرفِ و لِـــي, و لِـــمَـــن
طـــابَـــت بـــالـــحِـــبـــرِ مَـــشَـــارِبُـــهُ
عَـــلِّـــمـــنَـــا حُـــبَّـــكَ يـــا وَطَـــنًـــا
فَـــشِـــلَـــت بـــالـــحَـــربِ تَـــجَـــارِبُـــهُ

في ذكراك يا أبا الهاءات

كمال محمود علي اليماني

في الثاني من مارس من العام 2007م ، كان رحيل شاعرنا الكبير والجميل محمد حسين هيثم ، هي ذكرى رحيله السابعة إذاً ، ويطيب لي في هذه المناسبة أن أعيد ذكراه صإلى ذاكراتكم التي أثقلتها أمور المعيشة والسياسة ، ولم تترك لجمال روح شاعرنا الهيثم أن تحضر لتزدهي بها أوقاتنا المتعطشة إلى بعض من اخضرار يبعد عنها شبح يباس عاث في أرجائها وتربع على عرش خرائبها .

ولسوف أعرض على ذائقاتكم قصيدة هي من القصائد الحور في جنات ديوانه ((الحصان)) وهي ، كما أوضح تاريخ كتابتها، من القصائد التي كتبها في بداية مشواره الشعري، حين كانت قدماه (رحمه الله) قد جاوزت عتبة باب قصر الشعر مجازا ، ذلكم القصر الذي ألبسه تاج التميز ، وجلله بالإبداع حتى أضحى الهيثم واحدا من أهم قامات الشعر اليمني ، بل والعربي .

القصيدة بعنوان (القروي) وهي من قصائد عام 1979م ، وإذا كنا نعلم أن الهيثم من مواليد عام 1958م ، فإننا بحسبة بسيطة نجد أنه قد كتب القصيدة هذه وهو في سن الواحدة والعشرين من عمره ، هذا على الصعيد الشخصي ، أما على صعيد الوطن ، فقد كتبها أيام الحكم الشمولي في الشطر الجنوبي من اليمن فيما كانت تسمى (جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية) ، ولكم أن تعيشوا معي –أعزائي القراء – الأجواء المحيطة بكتابتها .

وإذا كان الشاعر العربي الكبير أحمد عبدالمعطي حجازي قد أورد لنا في ديوانه (مدينة بلا قلب) والذي ضم بين جنباته عدداً من قصائد كتبها حجازي في منتصف الخمسينيات من القرن المنصرم ؛ علاقة الشاعر القروي بالمدينة حيث قال في قصيدة (كان لي قلب):

"وأمضي .. في فراغ، بارد ، مهجور
غريبٌ في بلادٍ تأكل الغرباء
وفي قصيدة (الطريق إلى السيدة) يقول:
والناسُ يمضون سراعاً
لايحفلون
أشباحهم تمضي تباعاً
لاينظرون
حتى إذا مر الترام
بين الزحام
لايفزعون
لكنني أخشى الترام
كل غريبٍ هاهنا يخشى الترام

فإن الشاعر أحمد عبدالمعطي حجازي يصور لنا في ديوانه ذاك ، حالة القروي القادم إلى المدينة وعلاقته بها ، وبالناس من حوله ، وإحساسه العارم والغامر بالغربة إذ خلّف قريته وراءه ، وجاء إلى مدينة أضحى فيها غريبا لاعلاقة له بطرقها ولا بمبانيها وقصورها ومآذنها ، بل ولا علاقة أو وشيجة تربطه بأهلها .

هكذا رسم الحجازي صورة القروي القادم إلى المدينة واستقبالها له ، غير أن شاعرنا الهيثم نظر إلى القروي وعلاقته بالمدينة من زاوية أخرى ، وصور لنا غربته من منظور مختلف ، فهو هنا لايصطدم بالمدينة المباني والبيوت والمآذن والناس ، بل يصطدم بما يقيد حريته ، ويسلب فضاءاته التي عاش ردحاً من الزمن يسبح في امتداداتها.

لقد قدم ذلكم القروي إلى المدينة لاحباً فيها ولاعشقاً لها ، ربما قادته الحاجة وطلب الرزق، وهو مايشي به وصف القروي في ثنايا القصيدة ، وما أن يدلف المدينة ، حتى يأتيه التحذير ممن سبقوه أو ممن رأوا بساطته وربما سذاجته ، يقول الشاعر :

لم يكن عاشقاً
إذ رايناه قلنا
-((أيها المستهام
ثم نارٌ وعصفورة لاتنام
ثم ريح تحث الخطى في الضلوع
ووجد يعرّش فوق غصون الظلام
وأشياء اخرى

قلت أنه كان بسيطا ، وربما كان ساذجا أيضا ، فقد وصفه الشاعر بقوله :فيأأيها القروي البسيط
ثم راح يبسط لنا بعضا من أوصافه :
أعرفه
لايعرف أن يقرأ جورنالاً
لايقدر أن يتهجى اسمه
من عادته أن يتذكر أمه
((إحذر ..
ياقرة عيني
كل نساء ((البندر))
إحذر أن تزني أو تسكر))

ولقد ظل ذلكم القروي على قرويته فهو يستقرئ قلبه قبل النوم وبعد النوم ، وهو يحمل قريته في عينيه ويمضي كالقمر الشاحب منتشراً بين الوهم وبين الحلم .. كما رأحت تصورة ريشة شاعرنا الجميل محمد هيثم.

وفي نسق قصصي شعري أبدع الهيثم في تصويره ، قدم لنا سيناريو عرض لنا فيه مشهداً يصور ذلكم القروي وقد جلس في ركن مقهى من مقاهي المدينة ليشرب شايا ، ثم:

يتكىء بمرفقه في المائدة المنهارة
يندلق الشاي
تنهار المائدة على المائدة الأخرى
يندلق الشاي
ويعم هياج في المقهى
يندلق الحزن اليومي
ويعم هياج في الشارع
يندلق الحزن اليومي
وتدب النار بجلد الطرقات
.....

ذلكم القروي المسكين في فعل ما ، لم يقصده ، وجد ذاته في موضع شبهة وتهمة فما كان إلا أن :

تنهمر الصفعات عليه
تترك قريته عينيه
تتراكض أعمدة النور إليه
تتباعد
تتقارب ، تتباعد، تتقارب، تتباعد..تتباعد
..تتبا..عد..
وتغيم الرؤية
يندلق العالم
يسلمه النادل للدركي .. وفي هذه العبارة إشارة واضحة وفاضحة للحكم الحديدي والجاسوسي الذي تلبس به نظام الحكم أنذاك ، وفيه إدانة جلية وشجاعة من شاعرنا لتلك الممارسات ، وأحسب أن عدم ذكر اسم منطقة أو بلد ما لذلكم القروي قد أبعد التهمة عن شاعرنا، وبدا للرقابة الجاهلة أن الشاعر إنما يتحدث عن ممارسات تجري في بلد آخر ، ولم تفقه حينها أن موقفه ذاك إنما كان وليد قناعته بمايجري في البلد وأن قصيدته كانت إدانة لها .

-ماتفعله قد ضر بأمن العالم
-لكني لم أفعل شيئا
-((أو تنكر))
تنهمر الصفعات عليه
والتهمة((.....))

ولأن صاحبنا القروي كان رجلا بسيطا، وربما ساذجا ، ولم يكن أصلا قد تعمد فعل مايخل بأمن البلد أو العالم ، لأنه كان كذلك فقد سقطت كل دفاعاته أمام سيل الصفعات المنهمر عليه ، وهاهو ذا :

صهل حصان الرعب المجنون
-((كفوا
فلأعترف الآن
إني))..........))!!

ولاحظوا معي قرائي الأعزاء أن التهمة كانت نقاطاً بين قوسين ، وأن اعترافه أيضا كان نقاطاً بين قوسين لكن عدد النقاط في التهمة كان أقل منه في الاعتراف ، فكأن الشاعر الهيثم أراد أن يقول لنا أن اعتراف القروي تحت سيل الصفعات المنهمر قد جاوز التهمة التي ووجه بها ، ثم وضع علامتي تعجب وراء اعترافه ليدلل على استغرابه من اعتراف غريب سبقته تهمة أغرب.

وفي اللقطة الأخيرة من السيناريو نجد صاحبنا القروي ذاك وقد أسلمه القاضي للسجان ، ثم:

هاهو ذا يجلس في طرف زنزانة منفرداً
يستقرئ قلبه
ويحاذر أن يتكئ على الجدران

مازال طيبا وساذجاً كما كان فهو مازال يستقرئ قلبه ، لكنه من فزعه ومن خوف ورعب سكنه ، راح يحاذر حتى أن يتكئ على الجدران ، فقد بات يخشى بعد الذي لقيه أن ينهار أي شيء يتكئ عليه حتى ولو كان هذا الشيء جداراً.

رحم الله الشاعر الجميل محمد حسين هيثم فقد دلل منذ بداياته أنه شاعر مجيد وفارس فوق أرض الشعر مغوار ، لايشق له غبار .